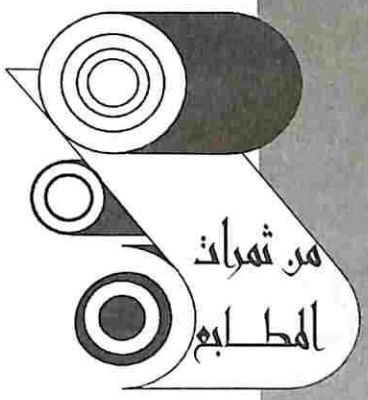

بسم الله الرحمن الرحيم

الضياء

مجلة فكرية فصلية محكمة تعنى بقضايا المعرفة و إحياء التراث
تصدر مؤقتا كل ستة أشهر عن دار الضياء للدراسات و النشر في موريتانيا
العدد ٩ السنة السابعة - مارس ١٩٩٩ - ذي القعدة ١٤١٩، الثمن ٣٠٠ أوقية

المدير المسؤول رئيس التحرير :
د. عبد الله بن أحمد بن حمدي

أمين التحرير :
زيد بن بلال بن أبهم

هيئة التحرير :
- د. محمد بن البرتاوي
- د. سيدي ولد منّاه
- ذ. بونا عمر لي
- ذ محمدو سالم ولد جدو
- ذ محمد باب ولد أحمد
- ذ المصطفى ولد أقليب
- ذ يحي ولد محمد

الإشراف الفني
- أحمد محمد بن عبد الرحمن
- عبد الرحمن بن أحمد سالم

المرسلات
ص. ب. ٥٤٩٤
هاتف ٢٢ ١٥ ٢٩ ٢٢٢
فاكس ٢٣ ١٥ ٢٩ ٢٢٢
انواكشوط - موريتانيا

الإشتراك السنوي :
- الإشتراك التشجيعي ١٠٠٠٠ أوقية
- الإشتراك العادي ١٢٠٠ أوقية

المقر : عمارة الأطلس - شارع كندي حي "د" ١٠٥ - الطابق الثاني BC1

الأراء الواردة في البحوث لا تعبر بالضرورة عن رأي المؤسسة أو المجلة

سحب : المطبعة الجديدة - انواكشوط - موريتانيا

المضمون الإصـ

د. عبدالله بن أحمد بن حمدي

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

□□ يهدف هذا البحث إلي أبراز صور ونماذج من مضامين الشعر الإسلامي الموريتاني وذلك عبر استنطاق جملة من النصوص تربو على العشرين في فترات تاريخية متباينة «قبل الاستقلال وبعده» سعيا إلى الكشف عن موقف الشعر الإسلامي من الواقع المعيشي وقضايا الأمة العالمية منتهياً إلى تقديم نموذج للبديل الإصلاحي المنشود «١».

يتكون هذا العنوان من تركيبين نعتيين أولهما «المضمون الإصلاحي» وثانيهما «الشعر الإسلامي الموريتاني» أما أول هذه التراكيب فهو المضمون الإصلاحي ونعني به تجليات الواقع المحلي والدولي في هذا الخطاب الشعري، أما ثانيهما فهو تركيب مضاعف الشعر الإسلامي الموريتاني، ونعني بالشعر الإسلامي: التعبير الفني المؤثر القائم على الوزن والموسيقى المعانق لهموم الجماعة ومشاغلها والصادر عن ذات مسلمة ملتزمة.

أما الموريتاني فنسبة إلى موريتانيا ذلك البلد الممتد بين جمهورية مالي شرقا والمحط الأطلسي غربا ونهر السنغال جنوبا والمغرب والجزائر شمالا. فكيف تجلت صورة الواقع في هذه المدونة وما هي سمات البديل الإصلاحي المنشود؟

■■ صورة الواقع في الشعر الإسلامي:

لقد عكس الشعر الإسلامي صورة هذا الواقع بتجلياته المختلفة ومظاهره المتعددة، سواء ركنت إلى السياسة والسلطة أو ارتبطت بالمجتمع وبنيته، أو جنحت إلى العالم والثقافة. وذلك في نغم متحرر ثائر وصيحة عالية مدوية تشهر السيف والقلم ضد صنوف العجز والاستسلام. وسنبرز هذه الصورة في بعديها المحلي والعالمي:

● **صورة الواقع المحلي:** لقد تجلت صورة هذا الواقع في مظاهر كثيرة وبإعادة نسقها يمكن إرجاعها إلى وحدات متميزة، من أهمها:

١ ـ الظلم والاضطهاد:

يشكل الظلم والاضطهاد مشغلا جوهريا لشعراء مدونتنا، حيث سعوا جاهدين إلى رفعه والتنديد به يقول الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيديا «٢» مصوراً نماذج من معاناة هذا المجتمع، تنفطر لها الأكباد وتقشعر لها الجلود، مثل نهب الأموال وسفك الدماء واقتحام المنازل وسبي النساء:

لا حر يرضى ما رضيتم أنتم
من نهب أموال وسفك دماء
وهجوم دور وابتزاز ملابس
وقران شيب واستباء نساء
وأليم ضرب باليدي والبعصي
على المحيا أو على العلباء «٣»

ثم يضيف مصورا مدى ركونهم واستسلامهم للظلم وقبولهم للأمر الواقع وتقديسهم هؤلاء اللصوص، مستنهضا الهمم داعيا للمواجهة:

وترى جماعة مسلمين بمسجد
شم الأنوف أعزة الآباء
وقرا كأن الطير فوق رؤوسهم
هماتهم في النجم والجوزاء
فتخال أن الضيم في أكنافهم
مستودع مستودع العنقاء
حتى إذا نظروا إلى متقمص
أهدامه ذي وفرة شعثاء
قاموا إليه مبادرين كأنما
قاموا لبعض أجلة الأمراء
فلدى القوي هو ذئاب مفازة
ولدى الضعيف هم أسود «كراء»
هيهات هذا من طريق محمد
وصحابه وقفاته الكرماء

وقد ختم نصه مبرزاً التناقض الكامل بين استسلام المجتمع وبين طريق محمد ﷺ، معلنا أن الطغاة قد تجبروا وعاثوا في الأرض فسادا وكمموا الأفواه وصادروا الحريات وعطلوا أحكام الله حيث لم يتركوا منها إلا الصلوات الخمس مشوبة بالرياء، بل ربما يمنعونها إذا استمر الوضع على هذه الصورة يقول:

لم تمسكوا من دينهم إلا القواعد
عد خمسها مسدوفة برياء
ولربما منعوكموها عنوة
حتى افتديتم منهم بفداء
إن كان مابكم كراهة موتكم
فالموت قطعا لا محالة جاء
ولموت من هو هكذا خير له
لو عاش ازمانا من الأحياء
ليس امرؤ من ذا استراح بميت
الميت حقاً ميت الأحياء

٢ ـ معاناة المرأة:

لم تكن المرأة بعيدة عن أشكال الظلم والاضطهاد التي أشرنا إليها سابقا، فقد أخذت حصتها كاملة من الاحتقار والازدراء فراحت ضحية تسيب المجددين وتحجر بعض المحافظين وهكذا استغل الأول الوضعية المزرية للمرأة التي خلقتها العادات والتقاليد والتدين الفاسد المنسوب إلى الدين والدين منه بريء براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام، فرفعوا شعارات براقة من أبرزها الحرية والمساواة.. الخ.

وقد وجدت تلك الدعوة تشجيعاً من الإعلام الرسمي وغير الرسمي، الأمر الذي أحدث هزة داخل بنية المجتمع وغير الكثير من التصورات والمفاهيم فخرجت المرأة للعمل والكسب و«السياحة» حرة طليقة متمردة على النظم والأخلاق «البدوية» يقول محمد بن بدي في قصيدته «بلقيس» التي تحكي قصة انتقال

...حي في الشعر الإسلامي الموريتاني..

مقاربة أولية

المرأة من البداوة إلى عالم المدينة مبرزاً مستوى النقلة ودرجة التحول وذلك في مقاطع ثلاثة متمايزة يقول في المقطع الأول مصوراً بلقيس في عهد البداوة والبراءة حيث الجمال الطبيعي والمجلس الجماعي الذي تتبادل فيه كؤوس الشاي يقول:

بلقيس يا صحراء ما تزال
امرأة يسحرها الجمال
وتسحر الرجال
في عيدها قد أكدت وفاءها للباديه
لخيمة وهوجد ودف
وجمل من خشب
ومجلس على كؤوس شاي لا يجف

أما المقطع الثاني فيبرز مضاعفات التحول من مجتمع البداوة إلى مجتمع المدينة فها هي بلقيس تتزين وتصبغ شفاهها وتكشف عن ساقيها ونحرها وترسل سنابل شعرها عارضة نفسها في السهرات الليلة بأبخس الأثمان مستشعرة أنها تدخل الحضارة من أوسع أبوابها وإن هذه الليلة تعتبر ليلة ميلادها الحقيقية التي تستحق التخليد والتعظيم.

إن بقيس «المدينة» قد فتحت عينيها على التلفزة والفيديو والسينما ومجلات الحب والغرام وجعلت من ذلك كله إطارها المرجعي، فاختارت سلاح الإغراء مصدرا للكسب فعملت على تطوير جمالها الطبيعي فدخلت غرفا عديدة للتجميل واستمعت إلى شروح وافية حول سؤال: «كيف تكونين جذابة ومغرية»، ومن هذه اللحظة بدأت بلقيس حياة جديدة كلها كرب وبلاء فجعلت من أماكن الحفلات عنوانها ومن الحانات موطنها فانفتحت قلوب عليها ونهبت جيوب ودنست أعراض يقول:

وانتصرت في كربلائها الجديدة
وفتحت قلوب
ونهبت جيوب
وعانق النجم دخان السهرات الماجنة
واستنشق الشباب عطر الفاتنات
من بنات البادية
لم يتغير أي شيء
وخرجت بلقيس يوم عيدها
ودخلت صرح الحضارة
وكشفت عن ساقها ونحرها
وازينت وصبغت شفاهها
وأرسلت سنابل الشعر

أما المقطع الثالث فيصور بلقيس وقد خاب أملها في ذلك النهج الذي طلبت من خلاله الاستقرار والراحة فنالت القلق والشقاء، طلبت الغنى فنالت الفقر والتعاسة طلبت الاحترام فجنت الحقارة يقول مصورا حالتها وهي عائدة من رحلة السراب حاملة «خفي حنين» بعد أن قضى منها شباب التيه والضياع وطره وركلها برجله تاركا إياها وسط المدينة تصرخ لا منقذ لا معين يقول:

ورجعت من رحلة السراب
لم تجن إلا حزمة من القشور
ولم تزل بلقيس قطة تموء
تجذب بالمواء في شوارع المدينة
سربا من القطاط

إذا كان شعراء مدونتنا قد تعرضوا لصورة المرأة في الواقع المعيش نقدا وفحصا فإنهم لم يهملوا تحديد سمات المرأة المثال التي يهدفون إلى بعثها وخلقها يقول محمد الأمين مزيد مبينا بعض ملامح المرأة النموذج مثل الطهر والوفاء والتقى والرقة والوقار والالتزام والثقة بالنفس والإيمان بالمبدأ يقول:

من لي بها مثل اللجين المذاب
أطهر عرضا من دموع السحاب
إن غبت عنها غاب من قلبها
عهد التصابي والهوى والشباب
زان محياها جمال التقى
وزانها نور الدعاء المجاب
من لي بها معتزة بالهدى
تلبس بين العاريات الحجاب
تهيم بالدين الذي صانها
وتعتلي على طنين الذباب

٣ ـ الغزو الثقافي:

نقصد بالغزو الثقافي مختلف أنماط الاستلاب الحضاري، وأشكال التفسخ الأخلاقي، مع التهاون بالواجبات والرقة في الدين.

وقد فطن المستعمر لفاعلية هذا العنصر فبادر إلى نشر ثقافته وفرض نموذجه، وذلك بعد فشل الخيار العسكري، ومن هنا فإنه عمل على رصد الأموال، ونشر مسموم الإعلام مرسلا البعثات التعليمية والهيآت «الخيرية» إلى ديار الإسلام لتبذر الشك وتنشر الكفر، مقدمة اللقمة مقابل الفكرة يقول اباب ولد أحمد مبينا درجة الغزو ومستوى الانحراف الذي أصاب المجتمع، واصفا إياه بالتلوث البيئي بما تحمله هذه الكلمة من حمولات دلالية مختلفة.

تلوثت بئة الأفكار واختنقت
حتى تولد إعصار وإرعاد

إن اباب لم يكن مستغربا لهذا الغزو لأن القابلية موجودة وشروط الهزيمة والانكسار قائمة، فالإسلام الفاعل غائب ووحدة المسلمين معدومة لذلك بين أن وضعا هذه سماته ليس غريباً أن يخترقه فكر أجنبي دخيل أو عدو حاقد عميل، يقول:

في غيبة الوعي والإسلام قد نبتت
بذور شك هنا واندس أوغاد
قوى الصليب وأذيال مغربة

من اليهود لهم دفع وإمداد
وقد أغارت حشود الشر خانقة
فيها تزاوج أطماع وأحقاد
فوزعوا الشركة الكبرى مجازفة
كأنه ما لهذا الدين أحفاد

ثم بعث الأمل في نفوس المسلمين ذاكرا أن صخرة هذا الدين صلبة قوية لا تخيفها المصائب والتحديات ولا تزعزها العواصف بل تزيدها صلابة وقوة وإيمانا بحتمية النصر. يقول:

لكن صخرة هذا الدين صامدة
مهما تآمر أهل الشهر أو كادوا
فكم عواصف هبت في معاقلنا
ربت سهول بها واهتز أنجاد

ويضيف محمد بن بدي مؤكداً على خطورة الغزو الفكري كاشفا لبعض خططه ذاكرا أن المنصرين يعملون بحرية واطمئنان في منطلق الجهاد في غرب افريقيا في ربوع عبدالله ابن ياسين يفسدون عقائد الصغار ويزلزلون عقائد الكبار تحت تأثير الحاجة والطمع، وفي هذا الإطار ننبه إلى أن هؤلاء المنصرين قمة في التواضع والتضحية والخلق الرفيع فأغلبهم يسكن في القرى النائية مع الأسر مرخيا عمامته «كالدراويش» مقدما الدواء والغذاء لهؤلاء البائسين تحت شعار الإنسانية والسلام، وقد غاب عن هؤلاء المحتاجين أن النصارى لا يعطون بالمجان بل لابد من مقابل يقول:

سنة مضت
وها نحن نشهد تحت هشيم المحاضر
ها نحن نشهد بين ربوع ابن ياسين
قسا
يدس مآثر بولص
في الخبز والجبن..
بين أيادي الصغار
ويرخي عمامته كالدراويش
يهدم ما شاء تحت شعار السلام

وعلى نفس النسق السابق ختم محمد بن بدي قصيدته بنغمة تفاؤلية تعد بالوحدة والانسجام والتكافل وطرد الصليب الذي عاث في الأرض فسادا وملأها بالشك والميوعة والتدين الفاسد يقول:

سنة مضت
وها نحن نفتح صفحة عمر جديد
سنطرد فيه الصليب
كما كان في عين جالوت
وسوف يعانق فيه السواد البياض
البياض السواد.

ويضيف محمد الأمين بن مزيد مبرزاً بعض مضاعفات ذلك الغزو على أخلاق المجتمع وقيمه حيث انتشر الفسق وغرق المجتمع إلى الأذقان في الدعارة والمجون يقول:

ظلموني فعلموني دين الغرب
دين الإلحاد واللادين
ظلموني فعلموني دين الخمر
دين الحشيش والأفيون
ظلموني من الذي علم البنت
فنون المجون بالتلقين؟!
وأراها الحياة لهوا رخيصا
وكساها بعد الملاء المهين
ظلموني من الذي علم الابن
تعاطي الخمور في «الكازين»؟!
ظلموني من الذي زين الشرر
على شاشة التليفزيون

ونختم هذا المحور بمقطع من قصيدة اباب بن أحمد التي عنوانها «طيفور معروف» وقد صور خلالها واقع هذه الأمة التي تعاني قهراً حضاريا شاملا يمس الوطن والأرض ليمتد إلى الثقافة والأفكار، فحضارتها مظلومة وبلادها مغصوبة، وثرواتها منهوبة، وكتبها

منافسة الناقد للمبدع..
تفقد النقد دوره الأساسي

مهجورة ومفكروها مستلبون. يقول:

تاريخنا مسروقة أيامه
منهوبة وعطاؤها مطمور
فحضارة مظلومة ومعاقل
مغصوبة وتراثها مقبور
وحصون أدمغة الرجال تحطمت
وحياتنا لا شيء إلا الزور
اليوم ناقة صالح معقورة
وفصيلها بإزائها معقور
طابور أهل البغي يزحف طاغيا
بسفينه لج الدجى ممخور

هذه صور ونماذج من الواقع المحلي كما يعكسها ديوان الشعر الإسلامي فكيف عانق الخطاب الشعري الإسلامي قضايا الأمة متجاوزا البعد الوطني إلى ملامسة الواقع الدولي.

ذلك ما ستكتشف عنه السطور اللاحقة.

ب ـ صورة الواقع الدولي:

نقصد بصورة الواقع الدولي مدى تصوير شعراء المدونة لهموم أمتهم السياسية والاجتماعية حيث نددوا بالاستبداد ومصادرة الحريات معلنين ضرورة التضامن مع إخوتهم المشردين.

وسنقتصر هنا على ظاهرتين بارزتين نعتبرهما عماد الصورة وأساسها وهما: التنديد بالاستبداد، والتضامن مع المشرد.

١ ـ التنديد بالاستبداد:

يشكل الاستبداد المرض المزمن الذي عانت منه الأمة قديماً وحديثا. وقد ترسخ بشكل واضح في أنظمة الحكم المعاصرة حيث امتلأت السجون وشردت الأسر، مما كان قادح عبقرية ووقود إبداع فظهر

الشعر الإسلامي الذي أنكر وقاوم البغي داعيا إلى إصلاح نظام الحكم ونشر العدالة، ذلك ما أوضحه أحمد الحسن بن الشيخ في هذا المقطع:

خلوا المقاعد واستريحوا إنكم
لستم لحمل أمانة أكفاء
خلوا المجال لفتية إن يحكموا
سلكوا الطريق محجة بيضاء
إن يحكموا كانوا أشداء على
أعدائهم وبقومهم رحماء
إن يحكموا إنطلق الهدى من سجنه
ويبددوا الآلام والأدواء
إن يهتفوا «الله أكبر» زلزلوا
بالمستبد قلاعه الشماء

أما الشعور بالظلم والمرارة والكبت والحرمان فقد رافق محمد الأمين بن مزيد في مسيرته الشعرية حيث خصص قصائد عديدة للتنديد بالطغاة وأعمالهم التعسفية نذكر منها قصيدة ظلموني «أحلام الطغاة» يقول في قصيدة «ظلموني» عارضا لمأساة المسلمين في هذا العصر المظلم شاكيا إلى الله ظلم الظلمة وجور الجائرين الذين مارسوا على هذه الأمة أبشع أنواع الإجرام «فعدن تشتكي وكابول تذري الدمع طلبا للمنقذ المعين» يقول:

ظلموني حقا لقد ظلموني
حرموني الحياة في ظل ديني
فاشتكت للأشج منهم دمشق
واشرأبت بغداد للمأمون
وتعالت عقيرة النيل يافا
روق يا عمرو يا صلاح الدين
واستمعنا في لجة المستغيثين
إلى صوت يا ابن تاشفين
وتلاقت في الشرق والغرب صيحات
تعاني من العذاب الهون
عدن تشتكي وكابل تذري الدمع
والقرن مثقل بالأنين
هؤلاء الطغاة قد حكموني
واستبدوا على خطا موسليني
ظلموني فأين من ينقذوني
أين من يغرقون كي ينقذون

ويطول ليل الطغيان على الشاعر محمد بن بدي فيدعو للمواجهة والمغالبة بعد أن امتدت يد الطغيان إلى المساجد الطاهرة تدنسها وتحطمها «حطموا مسجدي ومصحف أمي مزقوه» هذا فضلا عن انتهاك الحرمات وتدنيس الأعراض امعانا في الإضعاف الجسمي والإذلال المعنوي يقول:

طال ليل الطغاة واستفحل الأمر
واغتيل كل داع وهاد
حطموا مسجدي ومصحف أمي
مزقوه بخسة وعناد
حارسات القلاع يوطان قسرا
في الزنازين رائحات غواد
إيه يا شعب أين قبضة سيفي
أين ترسي وأين مخلاة زادي
ناولوني الرصاص فالعرض أضحى
مستباحا فأين سرج جوادي
هل رأيتم يا من شربتم دمانا
بنفوس إلى الدماء صواد
فمصير الفرعون في مصروجه
لمصير الطغاة من دهر عاد
هل رأيتم مآل كل عميل
مستبد فأمركم للنفاد

وقد غاب عن هؤلاء أن النفس المؤمنة لا يفت عضدها السجن والقتل والطرد فتلك عقبات وابتلاءات على الطريق، فطريق الإسلام طريق طويل وشاق لا يقوى على السير فيه ضعاف النفوس ولا مزعزعو الأركان يقول محمد بن بدي مصورا ضحية من ضحايا الطغيان في زماننا جريمتها أنها رفضت المحاباة والنفاق السياسي وآمنت بالله الواحد الأحد ورفضت حكم غير الله:

في المخبرين لهم خطا مدسوسة
يتصيدون بها الفتى الرباني
يتسللون إلى نوافذ بيته
سحرا يرتل سورة «الفرقان»
هجموا عليه وصفدوه وأسرعوا
فهو العدو لهم على الميدان
حتى إذا قدموا على أسيادهم
في قمة الأفراح بالقربان
رفع العقيرة مشرئبا صارخا
الله أكبر فوق كل جبان
أنا لست أعبد غير رب واحد
لا تطعموا في النيل من إيماني

ثم خاطبهم مخاطبة الواثق من نفسه المؤمن بوعد ربه بالنصر المستخف بزبانيتهم يقول:

فاسل بسوطك نهر دجلة من دمي
وافقأ عيوني واقتلع أسناني
وتسير قافلة الهدى محفوفه
بالشوك بالأوحال بالقضبان
نورا على نور تلألأ دربها
بشهيدها الملفوف في الأكفان

إن ليل الطغيان ليل طويل جعل الشعراء يحسون بضرورة التضامن فشرعوا يتحدثون عن هموم الأمة وجروحها النازفة جاعلين من الإيمان العميق والصبر الجميل والإرادة القوية أسلحتهم الميدانية.

○ **التضامن مع المشرد:**

لقد وقف شعراء مدونتنا مع اخوتهم المحاصرين في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي نذكر منها للتمثيل لا الحصر: فلسطين، أفغانستان.. الخ.

أ ـ قضية فلسطين:

لقد احتلت فلسطين حيزا كبيرا من «ديوان من الشعر الإسلامي» حيث زادت مدونتها على المائة من القصائد وقد

تمحورت مضامين هذه القصائد حول إسلامية القضية والدعوة للجهاد المقدس رفضا للنظرات القومية الضيقة التي تجعلها قضية عربية محضة وقد جهل هؤلاء ـ أو تجاهلوا ـ أن فلسطين ملك لجميع المسلمين ففيها أولى القبلتين وثالث الحرمين ومدرج الأنبياء ومسرى الرسول ﷺ وهكذا حررها الفاروق ومن بعده صلاح الدين بالإسلام وباسم الإسلام ـ لأن سنة الله اقتضت أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها يقول أحمد الحسن بن الشيخ مؤكدا على إسلامية القدس منددا بالمتاجرين بها في الأسواق المحلية والدولية الذين ملؤوا الدنيا وشغلوا الناس بالخطب الطنانة والقنابل الكلامية المدوية، حيث تسمع جعجعة ولا ترى طحينا:

قل للذين عن أمر ربهم عتوا
وتناسوا المعراج والإسراء
القدس إسلامية لا تطمعوا
في أن تصافح كفها العملاء
لا تطمعوا فيها فلستم أهلها
فكفى هتافا صاخبا وهراء
يا من أضاعوا القدس يا من باسمها
ملأوا البلاد تعاسة وشقاء
خلوا المقاعد واستريحوا إنكم
لستم لحمل أمانة أكفاء

ثم يضيف في قصيدة «مادون الإسلام خلاص» مؤكداً على المنطلقات السابقة مبرزا مقومات النصر في معركة المصير ذاكرا أن فلسطين تئن وتصيح تطلب المنقذ المعين «ولكن لا حياة لمن تنادي» يقول:

أرض الإسراء محضن الأنبياء
أقسمت لن تكون للغرباء
هي في أسرها تئن ولكن
ليس في القوم سامع لنداء
هل عرفناك يا فلسطين إلا
يوم ترتيل سورة الإسراء
هل دخلناك يا فلسطين إلا
بجنود لربهم أوفياء
هل أعدناك يا فلسطين إلا
بلواء التوحيد لا بالهراء

أما محمد فال بن عبد اللطيف فقد سجل معاناة الشعب الفلسطيني في مجزرة «صبرا وشاتيلا» تسجيلا تنفطر له الأكباد حيث شمل القتل المرضى والصغار والكبار محملا الأنظمة والشعوب في الوطن الإسلامي قسطا كبيراً من المسؤولية في هذا الحدث الجلل الذي وقع وهم سكوت ينظرون مما يدل على الرضى والقبول، يقول:

لا ترم صاح وانتظرني قليلا
فسألقي عليك قولا ثقيلا
إن اخواننا الجحاجح أبناء
فلسطين قتلوا تقتيلا
قتلوهم مرضى ومردا وشيبا
ويريد الخؤون بعد دليلا
ودعت أم ياسر أمة العرب
فلم ألف مثلها مخذولا
يا لها سبة ووصمة عار
أعقبتنا الحزن العريض الطويلا
هكذا تم والجميع سكوت
أترى ذلك السكوت قبولا؟!

ثم أضاف أن الشعوب قد اكتشفت حقيقة حكامها وأدركت أن مصدر الهزيمة ذاتي فنحن المصدر بأموالنا وهجرنا لمصدر قوتنا، نحن الذين قتلنا فلسطين وسرنا في جنازتها مشيعين باحثين عن حلول استسلامية رامية عرض الحائط كل عوامل النصر والتمكين يقول:

قد مللنا سماع قيل وقال
ومللنا الحل البديل الهزيلا
وسئمنا ما ليس يملك يوما
كشف ضرعنا ولا تحويلا
قد قتلناك يا فلسطين غرا
ثم قمنا عليك نعلي العويلا
قتلتك السهام: أسهم قوم
مولوها فأكثروا التمويلا
مولوها سيولة ووقودا
في جيوب العدو يجري سيولا

قد علمت مدرسة المحنة الشعب الفسطيني المجاهد دروسا بليغة جعلته ينزع الثقة من حكام أمته الذين تاجروا بقضيته ووعدوه بالتحرير والجلاء وأخلفوا الوعد، الشيء الذي أدى إلى ظهور انتفاضة الحجارة التي أزعجت اليهود وأرقت مضاجعهم وحطمت مصداقية دعاة السلام والاستسلام يقول محفوظ بن الوالد في قصيدته «حبر ودم» مباركا ثورة الحجارة بعد فشل ثورة السلام والبيان مبرزاً أن النصر لا يأتي بقوة السلاح والعتاد وإنما يأتي بقوة الإيمان والإرادة وإعداد أسباب القوة:

آن للدم أن يكون مدادا
سقط الحبر واستحال رمادا
غضب الأرض باركته سماء
فأتى الدهر طائعا منقادا
ركع الكل هيبة وجلالا
لصغار يطلقون الرقادا
عانقوا الموت عزة وإباء
جعلوا الله عدة وعتادا
من لهيب الجراح صاغوا خطابا
فجر الأرض ثورة وجهادا

ب ـ القضية الأفغانية:

لم تكد الثورة الإسلامية تحط رحالها في إيران حتى بادرت جارتها الاتحاد السوفياتي إلى بسط نفوذها على جمهورية افغانستان المسلمة، وذلك لوضع جدار أمني حصين منعا. لتسرب

«العدوى» إلى دول المنطقة وخصوصا الجمهوريات الإسلامية السوفيتية المحتلة، وردعا وتخويفا للثورة الوليدة التي أعادت الاعتبار للمسلمين وأعطت للإسلام دفعا كبيراً جعل معظم الشعوب الإسلامية تشرئب وتتوق إلى رؤية الإسلام متجسداً في الحياة السياسية ومن تلك الشعوب أفغانستان التي عانى شعبها من الحكم الشيوعي الأحمر المدعوم من «الكرملين» وقد تجلت تلك المعاناة في صور مختلفة وطرق شتى نذكر منها القتل والطرد والتشريد وتخريب المقدسات وانتهاك الحرمات يقول أحمد الحسن بن الشيخ في قصيدته «صرخة الحق» داعيا إلى مد يد العون والمساعدة إلى هؤلاء المؤمنين العزل الذين يجابهون أقوى وأشرس منافس آنذاك في العالم:

تذكروا قومكم كالزرع يحصدهم
دب الكريملين والهيجاء تحتدم
تذكروا فتية قتلى لغيرتهم
على حمى الله ماخاروا ولاسلموا
وكم رضيع بكى حتى لقد ذبلت
عيناه ثم طواه الجوع والسقم
وكم مساجد من عمارها خربت
وأصبحت بالرفاق الحمر تزدحم
تذكروا اللاجئين الشعث ليس لهم
إلا ثلوج شتاء قارس خيم
يستنجدونكم يرجون نصرتكم
لو كان يسمع هذا الصوت معتصم

ثم يواصل مستنهضا الهمم، معبئا الطاقات، متسائلا في تعجب واستنكار عن نهاية مسلسل الهزيمة والعار الذي أعدت الشعوب الإسلامية إعدادا جيداً لقبوله واستساغته، إن الشعوب تنوء بحمل ثقيل فهي لا تفيق من صدمة إلا لتستقبل أخرى، ففي الأمس البعيد صدمنا بالأندلس وتعايشنا مع تأثيرات الصدمة زمنا طويلاً حتى أنستناها صدمة فلسطين في الأمس القريب «منذ أقل من نصف قرن»، وها نحن اليوم نستقبل صدمة أفغانستان المسلمة، جروح نازفة في جسم هذه الأمة ولا ندري ما تدخره الأيام لنا في الغد القريب أو البعيد، مع أننا لا نستبعد إذا استمر حالنا على هذه الصورة أن تكون المآسي السابقة تهيئة وتحضيرا لصدمة بيت الله الحرام آخر المقدسات الإسلامية يقول:

فما لكم كلما يهوي لكم علم
ولا يعود هوى في إثره علم
كانت بخاري وتركستان موعدنا
إذا بلاد أفغانستان تخرم
وقبل ضاعت فلسطين وأندلس
جرحان يزداد لذعا فيهما الألم
فهل يدوم لنا البيت الحرام إذا
ظلت معاقلنا تغزى ننهزم

إن الواقع السابق واقع مرضي شاذ لأنه يحمل في طياته بذور فنائه واضمحلاله، لذلك حاول الشاعر أن ينفض الغبار عن مكمن القوة ومصدر العزة في هذه الأمة علها تفيق وتستفيق لتأخذ موقعها المناسب بين الأمم والمجتمعات لذلك خاطبها بأمة الحق وما تحمله كلمة «حق» من معاني القوة والغلبة ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾ «٤» حاصرا أسباب القوة والتمكين في تطبيق ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام يقول:

يا أمة الحق هبوا حسبكم فإلى
كم لا يهاب لكم في ساحة حرم
عودوا إلى الحق عودوا ليس شملكم
إلا بقفو هدى القرآن ينتظم
هذي الصليبية السوداء ما برحت
بعقر داركم بالكيد تعتصم
وذي الشيوعية الحمراء قد زحفت
عليكم وجهها كالليل ملتطم
تلقي بعنف على كابول كلكلها
وتستغيث ولا يرعى لها حرم
أناتها تقرع الأسماع صارخة
أين الاباء وأين النبل والكرم
أين الأخوة في الإسلام تجمعنا
صفا عليه قوى الإلحاد ترتطم؟!

وهكذا انطلقت جحافل المجاهدين بأسلحة متواضعة مرددة التكبير والتهليل تهاجم معاقل الغزاة والحكومة الصورية فأبلوا بلاء حسنا أغاظ الأعداء وزلزل قلاعهم وأيقظ في المنطقة الإسلامية روح الجهاد والتضحية، مما دفع الروس في النهاية إلى الانسحاب يجرون أذيال الهزيمة والخسران، فها هو محمد بن المختار يحيي بطولة وجهاد الشعب الأفغاني الذي سطر بدمائه الطاهرة أروع الملاحم الجهادية رغم شظف العيش وقساوة الطبيعة مقدما بذلك دروسا خالدة في التضحية والجهاد للمستضعفين. (وما أكثرهم في عالمنا) علها تكون لهم نموذجا يحتذى به في ميدان الجهاد والكفاح يقول:

حي جيحون نهرنا المعطاء
ثم عانق مياهه الزرقاء
وعلى ضفتيه حي جهادا
لرجال يستوطنون العراء
تخذوا الترب والصخور فراشا
في الميادين والسماء بناء
حملوا في يد سلاحا ومدوا
بدعاء لهم يدا بيضاء
سطروا بالدماء آيات مجد
وغدوا عند ربهم أحياء
ذكرتنا أيامهم يوم كنا
نرفض الذل نزدهي كبرياء

إنه الفجر قد أطل بشرق
سوف يغزو ضياؤه الظلماء

وإذا كانت مدونتنا سلطت الضوء على صورة الواقع بشقيه المحلي والدولي توجيها وتحريضا، فإنها لم تقف عند هذا الحد، بل استشرفت المستقبل مقدمة الحل مستعرضة البديل سعيا إلى مغالبة التحدي ومواجهة الواقع فكيف تجلى ذلك عبر هذا الديوان؟

٢ ـ البديل الإصلاحي المنشود:

نقصد بالبديل الإصلاحي المنشود تلك الصيحات المدوية التي جاءت مفصلة القول في شأن المنهاج الإسلامي الأصيل داعية إلى الجهاد وإقامة السلطة المركزية.

أ ـ الدعوة إلى المنهج الإسلامي:

لقد سعى شعراء المدونة إلى توضيح مفهوم الإسلام الصحيح مبرزين أنه دين سماوي لا علاقة له. بالدعوات الأرضية المتأرجحة بين دعاة العزلة والجمود، وأنصار العلمنة والتغريب.

منتهين إلى أنه منهج شامل للكون والحياة والإنسان يقول اباب بن أحمدو:

إن مفهوم ديننا لجلي
في أصول الشريعة الثابتات
ليس بين الإسلام أي ارتباط
وسواه من هذه النعرات
ليس الإسلام عزلة وجمود
وخمولا وخلوة في فلاة
ليس الإسلام طلسما وطقوسا
إنما هو منهج للحياة

ثم أضاف مبرزا أن الإسلام دين عدل وتشاور وقوة ورحمة فهو بحق دين ودولة وعقيدة وشريعة ومصحف وسيف.

جاء للعالمين عدلا ونورا
مخرجا من غياهب الظلمات
جاء بشرى ورحمة ومساواة
في الحقوق والواجبات
جاء دينا ودولة ونظاما
وجهادا ودعوة للنجاة
هو سيف ومصحف وهو حكم
شامل للوجود والكائنات

وأكثر من ذلك نقرأ أبياتا للشيخ علي الرضى يعمق ضمنها مفهوم الإسلام وشموليتها منتقدا المشروع الغربي والنزعات الجهوية مستنهضا للهمم داعيا إلى اليقظة والحضور الفاعل يقول:

أيقظ شعوبك بعد طول منام
وارفع بعزمك راية الإسلام
.. الله أكبر لا نحكم غيره..
والغرب أضغاث من الأحلام
تحيا الشريعة في ظلال نموها
والنصر تحت لوائها المتسامي
ما لي أرى قومية جهوية
لم ترع في الإسلام أي ذمام
زعمت بأن الدين يخدم سعيها
فلتبق في صرح من الأوهام

ب ـ الدعوة إلى الجهاد:

لقد ظلت الدعوة إلى الجهاد حاضرة في الشعر الإسلامي مسايرة له في مختلف مراحله، فظهرت على أديم نصوص هذا الشعر في نماذج فترة الإمارات الحسانية «٥» لتطفو على سطح منتوج رواد هذا الشعر في فترات الاحتلال والاستقلال، وقد عملت هذه الدعوة على تقديم خطاب شعري ساخن، مشبع، بلهب التمرد والثورة، مصبوغ بصباغ العنف والمواجهة يقول الشيخ محمد المامي مستنهضا الهمم، داعيا لجهاد من وصفهم بالأعراب:

وليس الأكرمون على الليالي
ولا وقع القنا بمحرمينا
وقد حرموا التعزز يعتليهم
من الأعراب أسفل سافلينا

ولقد كان إحساس الرجل بمشاغل مجتمعه قويا فكانت تسكنه همومهم وتؤرقه مشاكلهم إلى درجة دفعته إلى الطعن والتشكيك في رجولة المستسلمين الصامتين يقول:

وضاعت نسوة نكحت رجالا
بفعل الغانيات مكلفينا
فلم يكتب عليهم من قتال
ولا قتل على ما يزعمونا
وهل فيكم نساء محصنات
وما كنتم لها يوما حصونا
وهل خطيت نساء تحت بعل
إذا كان الرجال مخنثينا
عطابيل الأنام جفوتموها
بطبع في الخنازر لن يزينا

ثم ضرب لهم أمثلة من تاريخ هذه الأمة المشرق من أجل إحقاق الحق واسترداد الكرامة عله يكون لهم نموذجاً يحتذى وطريقة تتبع يقول:

أصبرا بعد عباد بن بشر
وقوم وفي الجهاد مجد عينا
بنو العباس مازالوا كراما
يقتل جمعهم ويصلبونا
إلى أن ادركوا ثأرا لقرن
وما أدركتم ثأرا قرونا

ثم شرع في تبين ما أعده الله للمجاهدين من أجر ومثوبة مقررا بصيغة الجمع مخالفة هذا المجتمع على مستوى التصور والممارسة.

لرمز التضحية والجهاد والمبدئية حنظلة «٦» بن أبي عامر الأنصاري يقول:

منعتم من صعالككم دثورا
أو أجرا مثل أجر السابقينا
حذارا من مفارقة الغواني
والأنعام السوائم والبنينا
فساووا في المحبة بين عين
تفارقكم وأخرى توعدونا

بوعد الصدق في جنات عدن
فهل أنتم له بمصدقينا
ولكني رأيتكم جميعاً
لحنظلة الغسيل مخالفينا

والجدير بالذكر أن هذه الدعوة الجهادية لم تكن عفوية سطحية بل كانت واعية ومدركة لأهمية القوة في حسم المعارك لذلك دعت إلى إعدادها مستلهمة لدلالات قوله تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾ «٧» ففيم تجلى ذلك الإعداد؟ لقد تجلى الإعداد عند هؤلاء في مظهرين اثنين: إعداد مادي عسكري، وإعداد معنوي لجيل مجاهد.

أ ـ الإعداد العسكري المادي:

يقول سيدي محمد داعيا إلى إعداد كل الوسائل الدفاعية والهجومية من بواتر وموارن وسيوف هندية ذاكرا أن الرسول عليه الصلاة والسلام، لم يصن دينه ولم يحمه إلا بهذه الوسائل:

ما صان أحمد والصحابة دينهم
إلا بعزز الله ذي الآلاء
وبواتر وموارن مسنونة
وسوابغ وسوابق وإباء

أما محمد بن الطلبة فقد ندب مجتمعه إلى الابتعاد عن السلبية في مواجهة الأزمة معلنا أن حمل السلاح يعتبر الخيار الوحيد للأمة التي استبيح حريم دينها يقول:

ولا تعولوه بالدموع فإنه
بذلك تستشفى النساء الثواكل

ولكن بأطراف العوالي فإنها شفاء الصدور والمذاكي القوابل

إلى أن يقول:

بأيمانهم مأثورة أندرية
فرنسية للمعتدين قواتل
ولم يحم دينا مستباحا حريمه
من المعتدي إلا القنا والقنابل

ب ـ الإعداد المعنوي:

لقد ركز الشعراء على إبراز قيمة الجهاد في الإسلام، مبينين أن لصاحبه إحدى الحسنين: النصر في الدينا أو الشهادة في الآخرة، يقول الشيخ سيدي محمد مصورا مدى ارتفاع معنويات هذا الجيل ذاكرا أنه يتقدم إلى ساحة الهيجاء متبسما مطمئنا يدفعه إلى ذلك ضمانات غيبية مفادها أن المجاهد سواء قَتَل أو قُتِلَ مكتوب في سجل السعداء:

يلقى العدا في كثرة متبسما
صوب الصفوف تبسم استهزاء
بمهند عضب كأن بريقه
ومض البروق بثرة وطفاء
وإذا المنية قد رآها غيره
صابا رآها هو كالصهباء
ليقينه أن المجاهد ميتا
أو قائلا قطعا من السعداء
فبذا يكون الناس ناسا لا بما
من ذلة ألف الاوان أولاء

ويتواصل النغم الجهادي مع رواد فترة الاحتلال الذين شهروا السيف ضد العدو محذرين من موالاته والركون إليه.

يقول محمد العاقب بن مايابى محذراً من النصارى، مفندا لوعودهم في توفير الأمن والاستقرار، عاتبا على مجتمعه تصديق مثل هذه الادعاءات والأكاذيب، مبينا أن كتاب الله وسير السابقين من السلف يشهدان على نكثهم للوعود ونقضهم للمواثيق، معبرا عن ذلك بعبارات تحمل شحنات دلالية كثيرة مثل: «أعيذكم»، «فضيحة».. الخ.

أعيذكم بالله من فضيحة الدنيا
ومن رأيكم المقيل
لا تشتروا دنيه بدينكم
لم يرضها غير الدني الأرذل
ترجون أمن الكافرين بعدما
نفاه نص المحكم المنزل
فنقضوا ميثاقه وأنتم
ترجون منهم وفا السموأل
تالله ما لكافر عهد ولا
له أليه إذا ما يأتلي
فعلهم فيمن مضى مهيمن
وواعظ من قلبه لهم يغفل

ثم يضيف ذاكرا العواقب الوخيمة للركون للكفرة وتحكيمهم في شؤون المسلمين من تقتيل وتشريد وتعذيب منتزعا أمثلة من إطاره البدوي تبسيطا لهذا المجتمع عله يذكر ويتعظ ويدرك أن صداقة الفأر والقط قناع سرعان ما تنجلي حقيقتها وتظهر نتائجها منزلا وعود النصارى في ذلك السياق يقول:

ومن يحكم كافرا في نفسه
لا غرو إن باء بشر مقتل
بل قصة الأسد مع ثيرانه
فيها لهم ذكرى وضرب مثل
هيهات أن يؤمن كافر وهل
ترجو سخال الضأن أمن الجيال
وعد النصارى كذب وعد لهم
جور ومينهم وخيم المأكل
وسلمهم حرب وبذل ما لهم
تغلب بالكيد ولاتحيل
والسم في جوارهم وقربهم
ومسلم بنارهم لا يصطلي
«لا يلدغ المؤمن مرتين من
جحر» حديث سار سير المثل

أما ماء العينين بن العتيق فقد صور ما آل إليه الدين في المجتمع تصويرا مثيراً يستدعي النجدة السريعة، نظرا لعظمة الخطب وشدة وقع المصيبة لذا خاطبهم مخاطبة المشفق الرفيق الذي يتمزق أسى ولوعة من معاناتهم داعيا إلى مراجعة النفس وتجديد العهد مع الله يقول:

فيا إخوة الإيمان دعوة مشفق
نصوح دجا مما دهاكم نهاره
ألاهل لدين الله منكم مشيد
فقد كاد أن ينقض أصلا جداره
أبعتم بدنيا دينكم واعتصمتم
بحبل من الشيطان واه مغاره

ثم أضاف ساخرا من أولئك الذين يؤملون في حكم النصارى العدل والأمن واصفا اياهم بضيق الأفق وبساطة التفكير وسطحيته يقول:

ومن رام عند القاسط القسط ضلة
تبدى لعمري خبله واغتراره

ويضيف محمد العاقب متعجبا من أولئك الذين لا يجدون أمن ساعتهم ولا يومهم ومع ذلك يلحون على البقاء تحت حكم النصارى طلبا للأمن والطمأنينة يقول:

يظل لا ينال أمن يومه
وهو يرجي الأمن من المستقبل

وبعد أن أيقظ هؤلاء الشعراء المجتمع ووضعوه أمام مسؤولياته بينوا أهمية الاتحاد في تحقيق النصر ودعوا للجهاد يقول محمد العاقب:

يا معشر الإسلام لا تسالموا
فتنشبوا في كفه المحتبل
كونوا على العدو في الله يدا
ففي التنازع لزوم الفشل
على القوي كتب الجهاد لكن
هجرة على الضعيف الأعزل

أما في عهد الاستقلال فإن القوم نادوا في نصوصهم محرضين على الجهاد، مشجعين على الثورة والتمرد، مستخدمين لغة العنف وسلاح الرفض، مصححين جملة من المفاهيم والتصورات نشرها الغرب الصليبي وكرسها الإعلام المحلي، ومن أخطرها ربط الجهاد بالعمالة سعيا إلى تحطيم المجتمع معنويا بعد أن دمروه عسكريا. يقول أحمد الحسن ولد الشيخ مبرزا كيف انقلبت الموازين في هذا المجتمع فصار الجهاد خيانة وعمالة وأصبح دعاته مخربين تجب مطاردتهم ومحاصرتهم.

صار الجهاد خيانة كبرى وصا
ر دعاته لشعوبهم أعداء
.. ماذا ترجي القدس ممن قد أبوا
أن يحملوا باسم الجهاد لواء
ماذا ترجى القدس وهي أمانة
ممن نراه يحارب الأمناء

أما الشيخ إبراهيم بن يا مختار فقد رأى أن الجهاد أصبح فرض عين داعيا إلى الثبات والصمود مهما تكن الأوصاف والنعوت: إرهابيون، متعصبون.. يقول:

وإن كان إرهابا جهاد مجاهد
فإنا على الإرهاب لا نتحول
وإن كان يعزى للتعصب تارة
فإنا على ذاك التعصب نقتل
فليس سلاما بعد أن هتك الحمى
وعاث العدى في أرضنا بعد أن حلوا

وها هو الشيخ الرضى يعلن أن الحدث جلل والمصيبة عظيمة ذاكرا أن لحظة الجهاد والمواجهة قد حانت وأزفت داعيا إلى الالتحاق بكتائب الجهاد طلبا للنصر أو الشهادة يقول:

حان المسير فسر على نهج الهدى
بين الكتائب رافع الأعلام
ناد الدعاة وقدهم متوشحا
قبل اللقاء بسيفك الصمصام
دوام بنفسك في الجهاد مناضلا
واضرب رقاب القوم ضرب حسام
آليت إني لا أزال مجاهدا
حتى تزول شوامخ الأعلام
يا أمة الإسلام هذا دينكم
يشكو إليكم صولة الأيام
ديني سأنصره وأحمي حزبه
حتى أرى يوم المماة حمامي

من خلال النصوص السابقة تبين أن الجهاد فريضة شرعية وضرورة لازمة لحماية المجتمع والذب عن ساحته تُرْسيخا للعقيدة ونشرا للحق والعدالة، غير أن شعراءنا انتبهوا إلى أن هذا الجهاد متوقف على وجود سلطة مركزية تحميه وتنظم شؤونه، وتحافظ على استمراره وذلك ما دفعهم إلى الدعوة إلى نصب الإمام وإقامة السلطة المركزية: فكيف كان ذلك؟

ج ـ الدعوة إلى نصب الإمام وإقامة السلطة المركزية:

إذا كان الجهاد كما بينا فريضة شرعية وضرورة بشرية فإن فاعليته متوقفة على نصب الإمام، علما بأن نصب الإمام ذاته واجب، قد عرف وجوبه بالنصوص الشرعية القطعية، لذا حاول هؤلاء الشعراء إعادة بناء النسق السياسي والاجتماعي قصد ابراز العلة التي تسببت في الفساد وساعدت في نموه وانتشاره، فاكتشفوا أنا تلك العلة تتمثل في غياب سلطة مركزية إسلامية، لذلك طفقوا يدعون إلى إقامتها وأبرز دعاتها الشيخ محمد المامي الذي استعمل النثر والشعر في إظهار ضرورتها واقناع المجتمع «٨» يقول: «ومن أخف العادة عند الناس مخالفة للشرع وهو من أشد ما ترك نصب الإمام في هذا القطر مع أنه اجماعي الوجوب وما أكثر ما يترتب على تركه من المحرمات كالمواثبة والدخول بغير إذن وترك الحجاب والانهماك في جميع الجرائم الموجبة للحدود كالزنا والقذف لأمن المعاقبة عليها، وكذلك ما لم يبلغ حدا وهو سائر المعاصي «٩» ثم أضاف: إن تهاونهم بأداء هذا الواجب وتأخرهم عن ممارسة هذه المسؤولية

الكبرى ضيع فرصا كثيرة للإصلاح والبناء وفتح المجال واسعا لميلاد ونمو الفساد والانحراف إلى درجة ضاعت معها معالم الحياة الإسلامية في البلد وطمست آثارها يقول متحدثا عن دار البادية «أنها بعد تسليم أنها دار فالأعز فيها الكفر والجاهلية والأذل فيها الإيمان كما ترى نسأل الله السلامة، وبعد تأكيده على ضرورة نصب الإمام قرر أنهم قادرون على نصبه ولو وفروا الشروط الموضوعية لوجوده من اتحاد وتوظيف للقدرات وتنظيم للطاقات يقول:

أمـــا تدرون كل بـنى تميم
من الصخر العظيمة يحملونا
ويعجز بعضهم عنها وليسوا
إذا اجتمعوا عليها يعجزونا
كذلك أنتم حيث اجتمعتم
على نصب الخليفة تقدرونا

ويقول أيضاً إن القوة مع غياب الضبط والتنظيم ضعف والضعف مع القيادة الواعية والبرمجة المحكمة قوة.

وألف ثعلب يقودها أسد
خير من ألف أسد إن لم تقد

ثم شرع في تعداد النتائج المترتبة على وجود السلطة من إحقاق للحق وإرساء للعدالة وتقويم للأخلاق ونشر للفضيلة، بل إنها ستوفر فرصة ذهبية للتشاور حول حاضر البلاد ومستقبلها يقول:

وينصب حاكم بالعدل يقضي
فلستم بعده تتنازعونا
فينفي ظلم بعضكم لبعض
وبالحد المقام تطهرونا
ويضحى أمركم شورى لديكم
وتتفقون فيما تصنعونا
وتعرض عنكم حسان لما
رضيتم ملة الإسلام دينا

ثم يهدّدهم بالتكفير وإخراجهم من الملة إن هم لم يستجيبوا لدعوته، دعوة المولى عزوجل يقول:

لتمتثلن أو لأكفرنكم
كحسان الأولاء تكفرونا

أما محنض بابه بن عبيد فقد دعم هذه الدعوة وأعلن مساندته لها في رسالة شعرية إلى الشيخ محمد المامي ـ رائد هذه الدعوة ـ تعكس تأييدا مطلقا لكل خطواته الرامية إلى إعادة صياغة المجتمع صياغة جديدة تضمن الأمن والاستقرار يقول:

تبليغ كل تحية وسلام
مني إلى ذي المحتدين السامي
أهديهما نحو الحبيب محمد
نجل الشيوخ السادة الأعلام
.. لازال سعيك في الأمور موفقا
يبدو برشد البدء والإتمام
كيف الجهاد وكيف كف محارب
من معشر فوضى بغير إمام
أم كيف يقهر من أبى عن حكمه
إلا بسطوة ناصر الحكام

ويقول الفع بن سيد أحمد مخاطبا الشيخ محمد المامي ومحنض بابه بن عبيد مباركا لهما خطواتهما وداعيا إياهما إلى نبذ كل المشاغل التي قد تحول دون تحقيق هذا الهدف النبيل الذي يتوقف عليه وجود الدين وغيابه في هذا المجتمع:

أمحمدا ومحمدا لازلتما
بحرين كلكما خضم طام
لله دركما اسعيا ولتجهدا
في نصر دينكما لنصب إمام
ولتنبذا ما كان شغلا شاغلا
حتى تعزز ملة الإسلام

وصفوة القول إن المضمون الإصلاحي في هذا الديوان قد كشف لنا عن تطور الشعر الإسلامي في موريتانيا حيث انطلق أيام الإمارات الحسانية ليعكس هموم الأمة في فترة الاحتلال، منتهيا إلى محاورة قضايا الواقع بتجلياته المختلفة في دولة الاستقلال.

وقد تجلت هذه المضامين المذكورة عبر بنية ثلاثية كان فيها تغيير صورة الواقع مطلبا جوهريا أحال على الجهاد وسيلة ثم قاد الجهاد إلى نصب الإمام وإقامة السلطة المركزية.

■■ الهوامش:

١ ـ لمزيد من التوسع في هذا الموضوع، انظر عملنا: الالتزام في الشعر الإسلامي الموريتاني: دبلوم الدراسات العليا ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة محمد الأول بوجدة سنة ١٩٩٢م

٢ ـ سورة الاسراء ـ الآية ٨١

٣ ـ الإمارات الحسانية: هي الإمارات التي حكمت البلاد قبل الاحتلال الفرنسي، وتشمل عدة قبائل حسانية منها الترارزة وأولاد يحيى من عثمان.. الخ.

٤ ـ حنظلة بن أبي عامر الأنصاري المعروف بغسيل الملائكة، خرج إلى المعركة وهو جنب ملبيا داعي الجهاد فاستشهد في غزوة أحد «الإصابة ج ١ ـ ص ٣٦٠».

٥ ـ سورة الأنفال، الآية ٦٠

٦ ـ عبدالله بن أحمد بن حمدي: الرؤية الإصلاحية عند الشيخ محمد المامي مذكرة تخرج من المدرسة العليا لتكوين الأساتذة والمفتشين سنة ١٩٨٦

٧ ـ الشيخ محمد المامي: كتاب البادية ص ٧٤ مخطوط بحوزتي وموجود في زاوية الشيخ محمد المامي ـ تيارت ـ نواكشوط

٨ ـ الشيخ محمد المامي: مزهرة الأحكام الوردية في الأحكام المدنية، نظم الأحكام السلطانية للماوردي ص ٥ ـ مخطوط ـ مكتبة زاوية الشيخ محمد المامي ـ نواكشوط.

٩ ـ الشيخ محمد المامي: السلطانية ص: ٦ مخطوط بحوزتي: مكتبة زاوية الشيخ محمد المامي ـ نواكشوط.

□□□